(٤٨)

الغَنِيُّ ﷻ

أخرج الإمام البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ؛ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ.

فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ! وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

قد يعطى الإنسان أموالاً، أو يمنح عقارًا، أو يرزق عيالاً، أو يوهب جاهًا، أو ينال منصبًا عظيمًا، أو مركزًا كريمًا، أو زعامةً عريضةً، أو رياسةً مكينةً..قد يحف به الخدم، ويحيط به الجند، وتحرسه الجيوش، وترضخ له الناس، وتذل له الرؤوس، وتدين له الشعوب...

ومع ذلك -كله- فالكل محتاج إلى الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

وربنا هو الغني ﷻ؛ الذي لا أغنى منه على الإطلاق، والكل فقير محتاج إليه.

فربنا غني بذاته وصفاته وسلطانه، كمل في غناه فلا يحتاج إلى أحد.

وربنا من كمال غناه: أنه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين؛ ولو كفر به كل العالمين! قال ﷻ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[آل عمران:٩٧].

ومن كمال غناه ﷻ: أنه يحسن إلى العباد، ويريد بهم الخير، ويكشف عنهم الضر؛ لا لشيء إنما رحمةً بهم وإحسانًا، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[الأنعام: ١٣٣].

ومن كمال غناه ﷻ: تنزهه عن النقائص والعيوب، وكل ما ينافي غناه، فلم يتخذ صاحبةً ولم يتخذ ولدًا، ولا شريكًا في الملك، ولا وليًّا من الذل، ولم يكن له كفوًا أحد، قال ربنا ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾[الإسراء: ١١١].

ومن كمال غناه وكرمه ﷻ: أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، وصح عنه ﷺ أنه قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ ﷻ مِنَ الدُّعَاءِ»[حديث حسن. رواه الترمذي].

❐ العالم بأسره فقراء إلى الله ..

العالم أجمع؛ جنهم وإنسهم، وغنيهم وفقيرهم، وكبيرهم وصغيرهم، وأميرهم وحقيرهم، وقويهم وضعيفهم: فقراء إلى الله، محتاجون إليه في

كل ساعة.

ومن كرم الله: أنه قرن اسمه (الغني) بوصف (الرحمة) في قوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[الأنعام:١٣٣]؛ وذلك لإخبار العباد أنه: غني عن عبادتهم، ومع هذا فهو قد رحمهم في كل شيء؛ حتى في العبادات والتكاليف، بل من رحمته: أنه يقبل القليل فيكثره.

ومن كرمه أنه قرن اسمه (الغني) باسمه (الحميد)، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨]، أي: بليغ الاستحقاق للحمد؛ بما له من عظيم النعم.

فالكل محتاج إليه؛ في كل صغيرة وكبيرة، وفي كل ساعة وكل ثانية.

فهذا أكمل الخلق عبوديةً يدعو ربه مظهرًا فقره وحاجته إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فقد كان من دعائه ﷺ: «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» [حديث صحيح. رواه النسائي].

أنت محتاج إلى الغني في كل ساعة، فبقدر إظهار فقرك إليه يكون الجزاء.

وتذكر: أن الله هو الغني، وأن غناه غنًى ذاتي، بل لو سأله أهل السماوات والأرض وأعطى كل واحد مسألته ما نقص من ملكه شيء، جاء في «صحيح مسلم»: «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ

وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ».

❐ مفتاح الغنى:

كيف أصل إلى الغنى؟

الجواب: كما جاء في الحديث القدسي: «ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَامْلأْ يَدَيْكَ رِزْقًا.

ابْنَ آدَمَ! لاَ تَبَاعَدْ عَنِّي فَأَمْلأْ قَلْبَكَ فَقْرًا، وَأَمْلأْ يَدَيْكَ شُغْلاً»[حديث صحيح. رواه الحاكم في «المستدرك»].

فمتى غني القلب بالله ﷻ، وقنع به، وفرح بما أعطاه الله؛ أصبح أغنى خلقه بخالقه، وأعز مخلوق برازقه، وأقوى ضعيف بمولاه، فهذا الغنى بلا مال، والقوة بلا سلطان، والعزة بلا عشيرة، فيا له من غنًى؛ ما أجل قدره!

صح عنه ﷺ أنه قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» [أخرجه مسلم].

لن يشبع الإنسان لو ملك الدنيا؛ ما لم يكن الغنى في قلبه، وكما جاء في «صحيح ابن حبان»: قال ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! أَتَرَى كَثْرَةَ المَالِ هِيَ الغِنَى؟ إِنَّمَا الغِنَى غِنَى القَلْبِ وَالفَقْرُ فَقْرُ القَلْبِ»[حديث صحيح].

من كان الغنى في قلبه؛ فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان الفقر في قلبه؛ فلا يغنيه أكثر ما في الدنيا، صح أن النبي ﷺ قال: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»[حديث حسن. رواه الترمذي].

وفي الحديث الآخر: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»

[أخرجه البخاري ومسلم].

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً

وَالفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنًى يُطْغِيهَا

وغِنَى النَّفْسِ هُوَ الكَافِي فَإِنْ

أَبَتْ فَجَمِيعُ مَا فِي الأَرْضِ لاَ يَكْفِيهَا

فالغني في الإسلام هو: من استغنى في قلبه عن الناس، وافتقر لله ﷻ، قال ﷺ: «شَرَفُ المُؤْمِنِ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ: اسْتِغْنَاؤُهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»

[حديث حسن. رواه الحاكم].

ولما قيل لأعرابي: لقد أصبح رغيف الخبز بدينار!

فأجاب: والله! ما همني ذلك؛ ولو أصبحت حبة القمح بدينار! أنا أعبد الله كما أمرني وهو يرزقني كما وعدني!

قال النسفي رحمه الله: "قال الواسطي: من استغنى بالله لا يفتقر، ومن تعزز بالله لا يذل؛ وقال الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله، يكون غنيا بالله".

قال حكيم: "إن الرجل ليجفوني، فإذا ذكرت استغنائي عنه بالله، وجدت برداً على كبدي".

قال ابن السعدي رحمه الله: "إنما الغنى غنى القلب، فكم من صاحب ثروة

وقلبه فقير متحسِّر؟!".

تَبَـرَّأْتُ مِـنْ حَـوْلِي وَطَـوْلِي وَقُـوَّتِي

وَإِنِّـي إِلَـى مَـوْلَايَ فِي غَايَـةِ الفَقْـرِ

غِنَى المَرْءِ بِالرَّحْمَنِ أَغْنَى مِنَ الغِنَى

بِـهِ يُكتَـسَى ثَـوْبُ المَهَابَـةِ وَالقَـدْرِ

اللهم! أعطيتنا من قبل أن نسألك؛ فكيف إذا سألناك؟!

اللهم! أغننا بالافتقار إليك، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك؛ فإنك أنت الغني، لا إله إلا أنت.

اللهم! أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك.